الحديث الموضوعي منهج جديد في شرح الأحاديث النبوية الشريفة

الدكتورة سعاد بيطاط
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة

الحمد لله وحده، والصّلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده وبعد:

تتناول هذه الدراسة التعريف بمنهج جديد في شرح الأحاديث النبوية الشريفة المسمى بالحديث الموضوعي. والذي يهدف المعاصرون من المحدثين إلى وضع أسسه التأليف فيه. وهو منهج يبرز مقاصد الدين الإسلامي في شكل موضوعات تتعلق قضايا ومشاكل العصر ودراستها على ضوء السنة النبوية الشريفة.

ويتم بيان ذلك وفق العناصر التالية:

1. التعريف بالحديث الموضوعي (لغة واصطلاحا).
2. أنواع الحديث الموضوعي.
3. خطوات منهج الحديث الموضوعي.
4. المصادر والمراجع الأولية.

1.التعريف بالحديث الموضوعي (لغة واصطلاحا):

الحديث الموضوعي مصطلح مركب من لفظين هما: الحديث والموضوعي.

1- التعريف اللغوي:

1/ الحديث "الخبر"[1]؛ قال عز وجل: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾[2]، أي أخبار.

2/ الموضوعي: "من الوضع وهو الحط"[3]؛ قَالَ الرسول ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ **مَوْضُوعٌ** وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ **مَوْضُوعَةٌ** ...».

ووضع الباني الحجر نضّد بعضه فوق بعض. ومنه جاء معنى موضوع جمع موضوعات وهو "مادة يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"[4].

2- التعريف الاصطلاحي:

1/ الحديث: "قول النبي وفعله وتقريره وصفته حتى في الحركات والسكنات في اليقظة والمنام"[5].

---

1) ابن منظور: لسان العرب، (76/3).

2) سبأ : 19.

3) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الجيل: بيروت-لبنان، 1952م، (3 /98).

4) المعجم العربي الأساسي: جماعة من كبار اللغويين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (لاروس)، (13/6).

5) شمس الدين السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ت علي حسين علي، المطبعة السلفية: الهند، 1987م، (8/1).

2/ الحديث الموضوعي: هو منهج يدرس قضايا ومسائل من الواقع من خلال جمع كل، أوجل الأحاديث الصحيحة والحسنة الواردة في الموضوع.

فهي دراسة تشرح السنة النبوية الشريفة بأسلوب يعالج واقع حياة المسلم المعاصر ومشكلاته.

ولكن قد تتناول الدراسة موضوعا أو مصطلحا من خلال مجموعة أحاديث أو حديثا واحدا غني بالمعاني.

2.أنواعه: يمكن اعتبار الحديث الموضوعي على ثلاثة أنواع على غرار التفسير الموضوعي وهي:

1- الحديث الموضوعي؛ للموضوعات: وهنا يختار الشارح موضوعا ثم يجمع الأحاديث التي تناولته بمختلف الألفاظ والسياق - فهو أشمل — وهو المراد عادة عند الإطلاق.

2- الحديث الموضوعي؛ للمصطلحات: وهنا ينتقي الباحث مصطلحا ويفرده بالدراسة بحيث يتتبع اللفظ في أحاديث الرسول ﷺ ويحصر حالاته الاشتقاقية وتصريفه ثم يستخلص الدلالات والمعاني منها.

3- الحديث الموضوعي؛ للأحاديث: وهنا تتناول الدراسة حديثا واحدا بالشرح تعالج فيه الواقع وترشد المسلم لتغيير سلوكه الخاطئ.

3. خطوات منهج الحديث الموضوعي:

هناك خطوات أساسية لا غنى عنها في الدراسة الموضوعية نجملها في النقاط التالية:

1- اختيار الموضوع أو المصطلح أو الحديث المراد بالدراسة، ووضع عنوان مناسب لها.

2- جمع الأحاديث الصحيحة والحسنة محل الدراسة.

3- شرح نصوص الأحاديث واستنباط معانيها ومقاصدها بالوقوف على سبب الورود إن وجد، وآثار الصحابة وأقوال العلماء. وتحليل الواقع لتمكين المسلم المعاصر من التمسك بدينه بشكل صحيح.

3. المصادر والمراجع الأولية:

المؤلفات في الحديث الموضوعي قليلة مقارنة بما ألف في الحديث التحليلي، لأنه منهج جديد فأكثر المصنفات فيه عبارة عن رسائل جامعية. ويمكن للباحث في هذا المجال الاستعانة بالمصادر الأولية عند الكتابة في أحد أنواع الحديث الموضوعي وسنرشده إلى أهم هذه الكتب فيما يلي:

1-كتب الفهارس: وهي مدونات لبيان المشهور من العلوم وما ألف فيها من كتب ومصنفات مع نسبة كل كتاب لمؤلفه، مثل كتاب:

1/كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة، فمن خلاله نتعرف على عناوين كتب في الموضوع محل البحث.

فمثلا إن كنت تعد بحثا يتعلق بموضوع الدعاء والذكر، تبحث عن كلمة دعاء في حرف العين فتجد عناوين منها رسالة في الدعوات المأثورة[1]، وهي رسالة تحتوي على خمسة أبواب: الأول في فضيلة الذكر، الثاني في فضيلة الدعاء وآدابه، الثالث في الأدعية المأثورة، الرابع في أدعية منتخبة، الخامس في أدعية عند حدوث الحوادث.

وكتب أخرى منها: الوابل الصيب في الكلم الطيب[2]، للشيخ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. وأدعية الحج والعمرة [3]، جمعها قطب الدين محمد

---

1) كشف الظنون، دار الفكر، 1982م، (4/ 764).

2) المصدر نفسه، (2 / 1995).

3) المصدر نفسه، (1 / 1).

المكي (ت 988هـ). وأذكار الصلاة [1]، لزين المشايخ أبي الفضل محمد بن أبي القاسم البقالي الخوارزمي الحنفي (ت 562هـ). والدعوات النبوية [2]، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي الشافعي (ت 562هـ). وحلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار في الحديث[3]، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي، (ت 676هـ).

2/ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لأبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي (ت 1345هـ/ 1927م). وهو كتاب نافع لاحتوائه أسماء أشهر ما ألف في علوم الحديث على اختلاف أنواعها وفنونها، و لم يشذ عنه إلا أشياء قليلة، فكان بذلك كالفهرس الجامع لدواوين السنة المشرفة .

2- المعاجم اللغوية: نجد بعض علماء اللغة يستشهدون بالأحاديث ذات الموضوع الواحد في بيان معاني الألفاظ والكلمات.

فمثلا ابن منظور في معجمه لسان العرب أورد ما يزيد عن عشرين حديثا في بيان مادة "وجب"[4].

3- الكتب المفهرسة للأحاديث النبوية: وهي كتب تدل على مواضع الأحاديث ضمن كتب الرواية المعتمدة، مثل:

---

1) المصدر السابق.

2) المصدر نفسه، (1 / 756).

3) المصدر نفسه، (1 / 688).

4) لسان العرب، (15/215- 216).

1/ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف[1]؛ إذ جمع أحاديث الكتب التسعة[2] مرتبة حسب الكلمات الظاهرة والنادرة فيها على طريقة المعاجم اللغوية، فعن طريق هذا المعجم يمكن جمع نصوص حديثية واردة في مصطلح واحد.

فمثلا أورد أحاديث عديدة في مادة وجب[3].

2/ مفتاح كنوز السنة: للمستشرق أ.ي. فينسنك؛ وهو فهرسة للأحاديث والآثار الواردة في أربعة عشر كتابًا[4]. ترجمه إلى العربية: محمد فؤاد عبد الباقي، لأنه كتابٌ مهم، وميزته أنه فهرس للألفاظ وللموضوعات في آن واحد، بمراجعة أخص كلمة بالحديث تدل على أصل الموضوع، مرتبة على حروف المعجم، والأحاديث المشتركة بين عدة موضوعات توضع في الباب الألصق بموضوعها، ويحيل عليها. فعن طريق هذا المعجم يمكن جمع نصوص أحاديث واردة في موضوع واحد.

3/ جامع الأصول من أحاديث الرسول: لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت 606هـ). جمع فيه أحاديث ستة كتب[5]، مرتبة على الموضوعات وهي بدورها مفهرسة على حروف المعجم، بدأ بكتاب الإيمان والإسلام في حرف الألف، وختم بكتاب اليمين في حرف الياء.

---

1) لآرند جان ونسنك ومجموعة من المستشرقين، ومحمد فؤاد عبد الباقي.

2) وهي: الصحيحين، السنن الخمسة، موطأ مالك، مسند أحمد بن حنبل.

3) حرف الواو، (7/ 136 - 141).

4) وهي: الصحيحين، السنن الخمسة، موطأ مالك، مسند أحمد بن حنبل، مسند زيد بن علي - مكذوب على زيد -، طبقات ابن سعد، مسند الطيالسي، سيرة ابن هشام، مغازي الواقدي — وهو متهم بالكذب— .

5) وهي: الصحيحين، السنن الثلاثة، موطأ مالك.

وإليك مثلا الكتاب الثاني في حرف الألف موضوعه الاعتصام بالكتاب والسنة، وفيه بابان: الباب الأول في الاستمساك بهما، أورد فيه أكثر من عشرة أحاديث[1]، والباب الثاني في الاقتصاد والاقتصار في الأعمال وفيه خمسة عشرة حديثا [2].

4-كتب الحديث رواية وشروحها: وهي كتب تجمع نصوص الأحاديث النبوية مرتبة على الكتب والأبواب وتحت كل باب مجموعة أحاديث تتناسب وموضوعه. وتتناول موضوعات فقهية كالصلاة والزكاة... وغير فقهية كالعلم والإيمان...كما فعل مالك في الموطأ ثم اقتدى به من بعده البخاري ومسلم في الصحيحين ومن سار على طريقتهم في ترتيب الأحاديث كأصحاب السنن المشهورة. وقد اعتنى الشراح ببيان مناسبة عناوين الأبواب للأحاديث المذكورة فيها.

ومن أشهر الكتب التي تعد أصلًا من الأصول التي يرجع إليها ويعول عليها في معرفة الأحاديث والآثار؛ لسعة ما تحتويه:

1/ المصنف في الأحاديث والآثار: لابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 235 هـ). مرتب على الكتب؛ بدأ بموضوع الطهارة وختم بموضوع الجمل، وتحت كل كتاب عدد من الأبواب، وكل باب فيه عدة نصوص، وقد بلغت نصوصه (37930 نصًا) منها المرفوع ومنها الموقوف والمقطوع، وفيها الصحيح وغيره [3].

---

1) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ت محمد حامد الفقي، (ط4) دار إحياء التراث العربي: بيروت- لبنان، 1984م، (1/ 186 – 198).

2) المرجع نفسه، (1 / 200 – 222).

3) المصنف في الأحاديث والآثار، (ط1) دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، 1995م، 7ج.

وهناك كتب كثيرة جمعت متون الأحاديث النبوية اقتصر مؤلفوها على تناول موضوع واحد عام والمسماة.

2/ **الكتب المفردة وكتب الأجزاء**: نذكر منهما على سبيل المثال:

الأدب المفرد للبخاري عدد أحاديثه (1360 حديثا) مفرقة على 645 بابا.

إكرام الضيف لعماد الدين أبو علي الحسين بن محمود بن الحسين الصالحاني (131 حديثا).

الأربعين في الجهاد والمجاهدين لأبي الفرج محمد بن عبد الرحمان المقرئ (40 حديثا).

الأشربة لأحمد بن حنبل (237 حديثا) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال (253 حديثا).

الأموال للقاسم بن سلام (1327 حديثا).

الإفصاح عن أحاديث النكاح لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي أبو العباس (130 حديثا).

الإيمان لابن أبي شيبة (135 حديثا).

البر والصلة لأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب المروزي (351 حديثا).

البعث والنشور للبيهقي (593 حديثا).

التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني (236 حديثا).

القبل والمعانقة والمصافحة لابن الأعرابي (43 حديثا).

5- **المراجع الحديثة**: وهي كتب ألفت في العصور المتأخرة اعتنت بشرح الحديث لبيان الحكم والمقاصد المستنبطة منه وتطبيقها على الواقع العملي الحاضر للمسلم. ونمثل لها بكتب على رأسها:

1/ مجالس التذكير من كلام البشير النذير: لعبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى، فهو مرجع مهم في الحديث الموضوعي ذو طابع تربوي دعوي.

ومثال ما جاء فيه قضية "تعلم اللغات المحتاج إليها"[1] عالجها الإمام بأحاديث نبوية قولية وفعلية تثبت أن الحاجة والمصلحة العامة تفرض على المسلم تعلم لغات الأمم الأخرى.

2/ استراتيجية الدفاع عن الأمن الإسلامي من خلال أربعين حديثا نبويا لإدريس الكتاني.

3/ الحديث النبوي والتأريخ لأحمد جمال العمري.

4/ من التوجيهات النبوية في الآداب الإسلامية -دراسة موضوعية- لعادل محمد أحمد عبد ربه .

وبالنسبة للرسائل الجامعية فنذكر:

1/ فقه سنن النفسِ والمجتمع في السُّنة النبوية: لإدريس العلمي دكتوراه في الدراسات القرآنية.

2/ الحرية الإعلامية في الحديث النبوي الشريف — دراسة موضوعية- لحسين علي محمد ربابعة.

---

1) عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام البشير النذير، (ط1)، دار البعث: قسنطينة، 1983م، (71- 73).

خلاصة البحث:

الحديث الموضوعي منهج جديد في شرح الأحاديث النبوية الشريفة على غرار التفسير الموضوعي للآيات القرآنية من حيث التسمية والأنواع ولكن له خصوصياته من حيث المنهجية والمصادر. ويتسم بالصعوبة في جمع الأحاديث من مصادرها المتعددة ولاختلاف الروايات للحديث الواحد وتفاوت درجات نصوص الأحاديث من حيث الثبوت والصحة مما يستدعي من الباحث توخي الحذر وشدة الانتباه في معالجة الموضوع محل البحث والنتائج المترتبة عليه.